سواء كان ايجابيا او سلبيا هو الذي يحدد طبيعة التفاعل المستقبلي مع ذلك الشخص او الشيء.

ثالثا: رواد التفاعلية الرمزية:

هـــناك ثلاثـــة رواد للتفاعلية الرمزية اذ ان كل رائد من هؤلاء الرواد قد اضـــاف شـــيئا متميزاً نجم عنه تنمية التفاعلية الرمزية في مجال معين. اما رواد التفاعلـــية الرمـــزية فهـــم جورج هيربرت ميد (١٨٦٣-١٩٣١) وهيربرت بلومر واخـــيرا فيكتور تيرنر[١٠]. ويمكننا هنا دراسة الافكار التي جاء بها هؤلاء الرواد واهـــم الكتـــب والابحـــاث العلمية التي نشروها والتي تفسر آراءهم ازاء التفاعلية الرمزية. وينبغي دراسة هؤلاء الرواد كل على انفراد.

أ - جورج هيربرت ميد:

هـــو من اشهر علماء الاجتماع الامريكان تأثر بالعالم وليم جيمس وزامل جـــون ديوي واثر في افكار كل من هيربرت بلومر وفيكتور تيرز. من اهم الكتب التـــي الفهـــا كـــتاب العقـــل والـــذات والمجـــتمع (Mind, self & Society). اضـــافة الـــى كـــتابة ابحـــاث علمـــية في مادتي علم النفس الاجتماعي والفلسفة. ســـاهم جـــورج هـــيربرت مـــيد فـــي ارساء المبادىء والافكار الاساسية للنظرية التفاعلـــية الرمـــزية مـــن خـــلال دراســـته للذات في المجتمع، ودراسته للاصول الاجتماعـــية للذات كما يقيمها الفرد ودراسته للذات كما يقيمها الاخرون[١١]. بمعنى آخر أنا كما اقيم ذاتي وأنا كما يقيمني الآخرون (I and me) .

يعتقد جورج هيربرت ميد بأن الذات في المجتمع او الذات الاجتماعية هي حصيلة تفاعل عاملين اساسيين هما العامل النفسي الداخلي الذي يعبر عن خصوصية الفرد وسماته الشخصية المتفردة والعامل الاجتماعي الذي يجسد مؤثرات البناء الاجتماعي المحيطة بالفرد(١٢)، وان تظافر هذين العاملين بعضهما مع بعض كما يعتقد ميد هو الذي يكوّن الذات الاجتماعية عند الفرد(١٣). اما الاصول الاجتماعية للذات فهي النمو التدريجي لقدرات الفرد منذ الطفولة على اشغال الادوار الوظيفية وتقييم هذه الادوار عن طريق تقييمها من قبل الآخرين، اي تقييم الفرد لذاته من خلال تقييم الآخرين لها. وهنا تصبح اللغة التي هي وسيلة الاتصال بين الافراد رمزاً لأنها تؤثر في الفرد الواحد كما تؤثر في الآخرين(١٤). بيد ان الطفل منذ الوهلة الاولى يبدأ بتقليد ادوار الآخرين فهو يقلد دور ابيه ودور معلمه ودور البائع ودور الطبيب ودور المريض... الخ. وعندما ينمو الطفل يتولد عنده الاحساس نحو الآخرين، اي تكون لديه صورة عن ادوار الآخرين. وهذه الصورة هي التي تجعلهم رمزاً له وتجعله رمزاً لهم. وهذا الرمز له قيمة معينة في المجتمع، وهذه القيمة تحدد طبيعة التفاعل التي يكونها الافراد والجماعات معه(١٥).

ويعالج ميد في نظريته للتفاعلية الرمزية موضوع " انا " كما اقيّم نفسي " وانا " كما يقيّمني الآخرون. فعند تفاعل الفرد مع الآخرين لفترة من الزمن فان الآخرين يقيمونه بعد ان يعتبرونه رمزاً ذات معاني ومواصفات معينة. وعند وصول التقييم اي تقييم الآخرين للفرد المعني بالتقييم فانه يقيّم نفسه كما يقيّمه الآخرون لأن تقييم الفرد لذاته ناجم عن تقييم الآخرين له. وهكذا يفسّر ميد ظاهرة أنا كما اقيم نفسي (I) وانا كما يقيمني الآخرون (me)(١٦).

ب- هيربرت بلومر:

اولا: المبحث الاول: تاسيس نظرية التمثيل المسرحي:

ظهـرت هذه النظرية عام ١٩٥٩ عندما نشر مؤسس النظرية او المدرسة البروفسـور ارفن كوفمن (Erving Coffman) مؤلفه الموسوم " عرض الذات في الحياة اليومية " ، والكتاب يحتوي على ما يتعلق بنظرية التمثيل المسرحي[٤]. علماً بأن البروفسور كوفمن هو كندي الجنسية وسبق ان تلقى دراساته العليا في الولايات المتحدة الامريكية اذ حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع عام ١٩٥٠من جامعـة شـيكاغو الامريكـية ويعـد بالاسـاس مـن انصـار المدرسة التفاعلية الرمـزية والتي تعد جزءاً من نظرية الدور. غير ان كوفمن قد عارض التفاعلية الرمـزية وانـتقدها فـي دراسـات منشـورة وانشـق علـى مؤسسـيها امثال البروفسـور جـورج هـيربرت مـيد و أي. دبلـيو. تومـاس. وبعـد انشقاقه وانتقاده وخروجه من التفاعلية الرمزية اسس مدرسة جديدة في علم الاجتماع وهي مدرسـة التمثـيل المسـرحي التـي تعد من المدارس الاجتماعية الحديثة في علم الاجتماع.

وعلـى الـرغم من اعتراضه على التفاعلية الرمزية وخروجه منها الا انه اسـتمر بالاعتقاد ببعض المبادىء والطروحات التي تؤمن بها التفاعلية والتفاعلية الرمـزية وبخاصـة مـا جاء به جارلس كوولي زعيم المدرسة التفاعلية. ذلك ان كوفمـن قـبل تأثره بالنظرية التفاعلية الرمزية سبق ان تأثر بطروحات ومبادىء واسـس النظرية التفاعلية. ومع هذا فان المدرسة التي اسسها كوفمن تختلف كثيراً بأفكارهـا وطروحاتها عن ما جاءت به المدرستان التفاعلية والتفاعلية الرمزية من آراء وافكار ومبادىء.

ان الاخـتلافات الشاخصة بين نظرية التمثيل المسرحي والنظرية التفاعلية والنظرية التفاعلية الرمزية هي ان نظرية التمثيل المسرحي تعتقد بأن تمثيل الانسان لدوره علـى خشـبة المسرح وخشبة المسرح هي الحياة الاجتماعية اليومية التي

نعيشها يكون بطريقة انه اي التمثيل يظهر الجوانب الايجابية للدور الذي يمثله الفرد امام مسؤوله الكبير كالاب او المعلم او رب العمل او رئيس الدائرة ويخفي الجوانب السلبية وغير المرغوبة عن المسؤول(٥). ومثل هذا النوع من التمثيل يجعل المسؤول راضياً ومقتنعاً بشخصية الممثل او الذي يعمل تحت امرته، وهنا يكون الاخير ناجحاً في حياته ومقيماً من المسؤول وان المسؤول يحمل عن التابع المواقف والافكار الجيدة(٦). وعندما تصل هذه المواقف والافكار الى التابع فانه يقيم نفسه عالياً، اي ينظر الى نفسه في المرآة نظرة مليئة بالرضا والقناعة والفخار(٧).

اما التفاعلية فتختلف بافكارها عن التمثيل المسرحي والاختلاف هنا هو ان التفاعلية لا تنظر الى الدور الذي يمثله الفرد في الحياة اليومية امام الآخرين، بل تنظر الى عملية التفاعل بين الفرد والآخرين. فهذا التفاعل ينتهي بتقييم الفرد من قبل الافراد الذين تفاعلوا معه عبر فترة من الزمن، والتقييم قد يكون ايجابياً او سلبياً. فاذا كان ايجابياً فان الفرد يقيم نفسه بصورة ايجابية، اي ينظر الى ذاته في المرآة. والعكس هو الصحيح اذا كان تقييم المجتمع له سلبياً(٨).

والتفاعلية الرمزية تختلف عن التمثيل المسرحي بجوانب كثيرة منها انها لا تنظر الى الدور الذي يمثله الفرد على خشبة المسرح او المجتمع بل تنظر الى التفاعل الذي يحدث بين الافراد لفترة من الزمن، وبعد التفاعل تبدأ الجماعة المتفاعلة بتقييم كل فرد فيها على انه رمز، وهذا الرمز قد يكون محبباً او مستهجناً بناء على الصورة الذهنية التي كونها كل شخص في الجماعة نحو الشخص الآخر. وعندما يصل التقييم الرمزي الى الشخص المعني فانه يقيم نفسه بموجب التقييم الذي حصل عليه من اعضاء الجماعة الذين تفاعل معهم(٩).

وهكذا يمكن تحديد اوجه الشبه والاختلاف بين نظرية التمثيل المسرحي والنظرية التفاعلية والنظرية التفاعلية الرمزية.

ثانيا: المبحث الثاني: المبادىء التي تعتقد بها نظرية التمثيل المسرحي:

تعد نظرية التمثيل المسرحي من النظريات المهمة التي تضيف الى ميدان الميكروسسيولوجي (Micro Sociology) لانها تهتم بدراسة العلاقة بين شخصين احدهما يحتل مكانة رفيعة والآخر يحتل مكانة ادنى. والنظرية تضيف الى ميدان علم النفس الاجتماعي لانها تتطرق الى دراسة المواقف داخل الجماعات الصغيرة، وانها تحلل الحياة الاجتماعية وفقاً للادوار التي يمثلها الفرد في الحياة الاجتماعية اليومية، اي يمثل ادواره في المسرح، اي الحياة الاجتماعية التي نعيشها. علماً بأن هذه الحياة تشهد نوعين من الافراد: النوع الاول يتكون من افراد ناجحين يعرفون كيفية تمثيل الادوار امام الآخرين لاسيما امام المسؤولين، والنوع الثاني يتكون من افراد فاشلين لا يعرفون كيفية تمثيل ادوارهم مع الكبار والمسؤولين والمدراء[١٠]. فالفرد الناجح في الحياة هو الذي يجيد تمثيله لدوره امام الكبار اذ يحصل على رضاهم واستحسانهم، بينما الفرد الفاشل في الحياة هو الذي لا يعرف كيفية تمثيل دوره امام مسؤوليه. فتمثيله الفاشل يثير سخط واستهجان مسؤوليه له، وبالتالي اخفاقه في الحياة وعدم تقدمه في مجالاتها[١١].

اما المبادىء الاساسية التي ترتكز عليها نظرية التمثيل المسرحي فيمكن اجمالها بعشر نقاط اساسية هي كما يلي:

١- ان الحياة الاجتماعية التي نعيش فيها ما هي الا مسرح كبير له باب يدخل من خلالها الممثلون وباب اخرى يخرج منها الممثلون بعد الانتهاء من فصول او مشاهد تمثيلهم. والممثلون هنا هم الافراد الذين يعيشون في المجتمع ويمثلون ادوارهم امام الآخرين سواء كانوا اعلى او اوطأ منهم.

٢- ان الافـراد الذين يعيشون في المجتمع او في الحياة الاجتماعية هم عبارة عن ممثليـن فـي هذا المسرح الكبير، اذ ان كل فرد هو ممثل امام الآخرين[١٢]. ولمـا كـان ممـثلاً فانـه يدخل من باب ويخرج من الباب الاخرى للمسرح الذي يمثل فيه.

٣- ان الممثليـن الذين هم ابناء المجتمع يمثلون ادواراً اجتماعية مختلفة منها ادوار رئاسـية وادوار مرؤسـية وادوار وسطية. ذلك ان الممثل اما يكون رئيسا او مرؤساً، وان دوره هو الذي يحدد مركزه التمثيلي[١٣].

٤- يدخـل الفـرد الـى المسـرح للتمثيل في بدء حياته التمثيلية، اي بدء حياته الاجتماعـية ويخرج الفرد من المسرح في نهاية حياته التمثيلية، اي في نهاية حياته الاجتماعية التي يعيشها[١٤].

٥- يلعـب الفرد ادواره في حياته اليومية كممثل، فاذا اجاد لعب الادوار فانه يلقي الاحـترام والـتقدير مـن الآخرين وبخاصة الاعلى منه. واجادة لعب الادوار تعنـي اظهـار الجانب الجيد من سلوكه وشخصيته وعلاقاته واخفاء الجانب السـيء[١٥]. امـا اخفـاق الفـرد فـي لعـب الادوار التي يقوم بتمثيلها في المجـتمع فانـه يلقـي الـرفض والاسـتهجان والتأنيب والمقاطعة من قبل ابـناء المجـتمع لانـه اظهـر لهـم الجانـب السلبي من شخصيته واخفى عنهم الجانب الايجابي.

٦- يحاول الفرد عند تفاعله مع الآخرين لاسيما الافراد الاعلى منه درجة ان يظهر امـامهم الوجـه الجيد من شخصيته واخفاء الوجه السلبي والقبيح، لان اظهار الوجـه القبـيح امـامهم سـيدفعهم الى استهجانه ومقاطعته والوقوف ضده. وهـذا مـا يسـبب فشـل الفـرد فـي مهامـه واعماله. لذا فالفرد كلاعب او ممـثل لـلادوار غالـباً مـا يظهـر الوجـه الجيد والايجابي لشخصيته ويخفـي الوجـه القبيح والمرفوض املاً في قبوله من لدن المجتمع مع تقييم سلوكه اليومي والتفصيلي.

٧- في بعض الحالات يلعب الفرد دوره او يمثل دوره بطريقة تظهر امام المسؤولين الجوانب السلبية لذاته، ويخفي وراء المسرح الجوانب الايجابية. ان هذا الشخص لا ينجح في حياته العامة والخاصة لانه لا يعرف كيف يمثل ادواره امام الآخرين، اي لا يعرف كيفية تقمصه للشخصية المحببة والمفضلة من المجتمع، فيكون مرفوضاً من المجتمع ولا ينال رضاه وقبوله لانه لا يعرف كيفية التمثيل امامهم، اي لا يعرف كيفية عرض ذاته بجوانبها الايجابية امام الآخرين، بل على العكس يجيد عرض ذاته بجوانبها السلبية والمستهجنة والمرفوضة(١٦).

٨- عندما يعرض الفرد خلال فترة التمثيل الجوانب الايجابية عن شخصيته ويخفي الجوانب السلبية فان الآخرين يكونون صورة ذهنية ازاءه، وهو نفسه يكون صورة ذهنية نحو الآخرين. وهذه الصورة هي التي تحدد تقييمه للآخرين وتقييم الاخرين له(١٧). وهذه الحقيقة انما تتناغم مع ما جاء به جارلس كوولي في كتابه الموسوم " الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعي ". علماً بأن جارلس كوولي هو من اقطاب النظرية التفاعلية التي تنص على ان الفرد يقيم ذاته وفقاً لتقييم المجتمع له.

٩- ان الصورة التي يحملها الآخرون عن الفرد بعد قيامه بتمثيل الادوار التي يؤديها هي التي تدفعه الى تقييم ذاته وبالتالي تقييم الآخرين. ذلك ان تقييم الفرد من قبل الآخرين هو الذي يدفعه الى تقييم ذاته، لأن تقييم الذات يعتمد على تقييم الآخرين للفرد(١٨).

١٠- الحياة الاجتماعية التي نعيشها اذن هي رحلة يدخل فيها الانسان من باب ويخرج من الباب الآخر. وفي هذه المرحلة يمثل الفرد ادواره امام الآخرين والآخرون يمثلون ادوارهم امام الفرد. وهذا التمثيل الذي يقوم به طرف امام الطرف الآخر هو هو الذي يكون الصورة النمطية (Stereotyped)

التي يحملها كل طرف نحو الطرف الآخر. وهذه الصورة النمطية عندما تصل الى الفرد فانه يقيم نفسه بموجب طبيعتها وشكلها[١٩].

يمكن تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على عدد من الابحاث الاجتماعية التي تدور حول العلاقة الانسانية بين الافراد والجماعات. ان هذه النظرية تعد جزءاً من النظرية التفاعلية، والنظرية التفاعلية الرمزية ولكنها تبحث الموضوع بطريقة ابعد واعمق مما تبحثه التفاعلية الرمزية، انها تبحثه من حيث تفسير النجاح او الفشل وفقاً لجودة الفرد في تمثيله الادوار المناطة به[٢٠].

يمكننا تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على عدة موضوعات بحثية في المبحث الثالث من الفصل.

ثالثاً: المبحث الثالث: تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على بعض الابحاث الاجتماعية:

يمكن تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على العديد من الابحاث التي تتعلق بالصلة التي تربط طرفي العلاقة الانسانية، طرف يحتل مكانة عالية وطرف آخر يحتل مكانة متدنية او واطئة كدراسة العلاقة بين المعلم والطالب والعلاقة بين الضابط والجندي والعلاقة بين الاب والابن. والآن علينا تطبيق النظرية على هذه الابحاث الثلاثة وكما يلي:

١-تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على العلاقة بين المعلم والطالب:

المعلم يمكن ان يمثل امام الطالب والطالب يمكن ان يمثل اما المعلم. ف أجاد كل طرف التمثيل ازاء الطرف الآخر، اي اظهر الجوانب الايجابية والمق لشخصيته للطرف الآخر فان علاقته به تقوى وتتعمق وتستمر، بينما اذا اظهر طرف ازاء الطرف الآخر الجوانب غير المحببة لشخصيته ولم يعرف كيفية ح الطرف الآخر له فان العلاقة بين الطرفين ستكون ضعيفة او متوترة. وهنا لا